بشّار يحصد ما زرعه في لبنان

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

قبل السلام والكلام، لا يحقّ للمصارف اللبنانية احتجاز أموال المودعين فيها، أكانوا لبنانيين أو سوريين أو من أيّ جنسيّة أخرى. هذه جريمة في حقّ لبنان أوّلا. جريمة، كان يفترض أن تكون هناك سلطة قادرة على الحؤول دونها. ما حدث في لبنان سرقة موصوفة بكلّ معنى الكلمة، هي نتيجة طبيعية لمرحلة الوصاية السورية ثم الوصاية الإيرانية القائمة على معادلة في أساسها تغطية السلاح للفساد.

هذا لا يمنع من طرح سؤالين في غاية البساطة على رئيس النظام السوري بشّار الأسد بعد إثارته فجأة لموضوع مليارات الدولارات التي أودعها مواطنون سوريون في مصارف لبنان.

النظام السوري في حال هروب مستمرّة إلى الأمام. لا يستطيع القول صراحة للسوريين إنّه انتهى منذ سنوات عدّة وإن الهروب إلى الأمام وتحميل الآخرين مسؤولية ما آلت إليه سوريا لا يفيد في شيء

السؤال الأوّل: ما الذي حمل مواطنين سوريين يمتلكون مبالغ صغيرة أو كبيرة بعشرات ملايين الدولارات على إيداع هذه الأموال في لبنان؟

السؤال الثاني: لماذا استفاق رئيس النظام السوري في هذه الأيّام بالذات على وجود هذه المبالغ الكبيرة في المصارف اللبنانية؟

الجواب عن السؤالين أن النظام السوري في حال هروب مستمرّة إلى الأمام. لا يستطيع القول صراحة للسوريين إنّه انتهى منذ سنوات عدّة وإن الهروب إلى الأمام وتحميل الآخرين مسؤولية ما آلت إليه سوريا لا يفيد في شيء. ما يفعله بشّار يصب في تحقيق هدف واحد هو تفتيت سوريا وتكريس الاحتلالات الخمسة القائمة (الإيراني، الإسرائيلي، الروسي، الأميركي، التركي) في غياب أي تسوية سياسية في الأفق.

انهار النظام المصرفي اللبناني، الذي يشكّل العمود الفقري لاقتصاد البلد لأسباب عدّة. من بين هذه الأسباب الفساد. وهو فساد تضاعف حجمه مرّات عدّة في أثناء الوجود السوري في لبنان، خصوصا بعد العام 1990 عندما بدأ عهد الوصاية السورية المباشرة على البلد إثر دخول الجيش السوري قصر بعبدا ووزارة الدفاع في اليرزة... بفضل بطولات العماد ميشال عون.

كان ميشال عون وقتذاك رئيسا لحكومة مؤقتة تضمّه مع ضابطين مسيحيين.ارتكب رئيس الجمهورية الحالي في الأعوام 1988 و1989 و1990 كلّ الأخطاء التي يمكن ارتكابها، بما في ذلك التحالف مع صدّام حسين، من أجل تمكين النظام السوري من السيطرة على كلّ لبنان وصولا إلى خروجه منه عسكريا في نيسان – أبريل من العام 2005 مباشرة بعد اغتيال الرئيس رفيق الحريري ورفاقه.

يلقي بشّار الأسد المسؤولية على الآخرين بدل امتلاك الجرأة على القيام بعملية نقد للذات، مؤسف أنّه فات أوانها. لم يتردد في القول إن "جوهر" الأزمة الاقتصادية التي تعاني منها سوريا هو الأموال المحتجزة في المصارف اللبنانية. المسألة في غاية البساطة. قبل كلّ شيء، أن الأموال السورية في المصارف اللبنانية ليست جديدة. هناك رجال أعمال سوريون واقتصاديون لعبوا دورا كبيرا، منذ ستينات القرن الماضي، في تطوير القطاع المصرفي اللبناني. لا حاجة إلى ذكر أسماء محددة، لكنّ أيّ عاقل في لبنان يعرف تماما أن هجرة النخبة السورية مع أموالها إلى لبنان ليست بنت البارحة. ما يعرفه هذا العاقل أيضا، أن النظام السوري بدأ يتآكل من الداخل منذ الوحدة مع مصر ومرحلة التأميمات بين عامي 1958 و1961.

عاد الأمل إلى سوريا في العام 1961 مع بدء عهد الانفصال. كان هناك رجال سياسة في سوريا يحترمون أنفسهم قادوا مرحلة ما بعد الانتهاء من الوحدة. وضع حزب البعث نهاية لتلك المرحلة الذهبية القصيرة جدّا، التي كان يمكن أن تعيد سوريا إلى السوريين، في الثامن من آذار – مارس 1963. منذ ذلك اليوم المشؤوم وسوريا في تراجع مستمرّ على كلّ الصعد. لم تهرب أموال السوريين من سوريا فقط. هرب كلّ سوري يمتلك مؤهلات معيّنة من سوريا، خصوصا بعدما أخذ بشّار الأسد، ابتداء من السنة 2000 سوريا إلى مكان آخر.

لم ينتقل دولار واحد من سوريا إلى لبنان من دون معرفة النظام. استفاد النظام إلى أبعد حدود من المصارف اللبنانية، خصوصا بعدما تحوّل إلى شريك مباشر لها في كلّ فرع فتحته في دمشق أو حلب. أكثر من ذلك، هناك مصارف مثل "بنك المدينة" ارتبطت بفضائح مرتبطة بمسؤولين سوريين وآخرين لبنانيين. هذه فضائح، كان رئيس النظام السوري على علم تام بها وبتفاصيلها ولعب دورا في التغطية عليها. ففي اللقاء الذي عقده بشّار الأسد مع رفيق الحريري في كانون الأوّل – ديسمبر 2003، قبل سنة وثلاثة أشهر من اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق، كانت لبشّار ثلاثة مطالب واضحة من الحريري، من بينها توقف أجهزة الإعلام الحريرية عن التطرّق إلى فضيحة "بنك المدينة"!

استخدم بشّار الأسد لغة التهديد في تأكيد أن مطالبه أوامر موجهة إلى موظف عنده، هو رئيس مجلس الوزراء في لبنان! هل من شخص يعتبر نفسه رئيسا للجمهورية العربيّة السورية يتصرّف بهذه الطريقة مع رئيس الحكومة اللبنانية، أي مع شاغل الموقع السنّي الأوّل في لبنان؟

يحصد بشّار الأسد ما زرعه في لبنان منذ خلف والده قبل عشرين عاما. رفض عمليا أي تطوير للاقتصاد السوري أو تحديث له. رفض أي انفتاح حقيقي على دول الخليج العربي. فضّل اللعب على التناقضات الخليجية عبر ممارسة لعبة الابتزاز. بكلمة واحدة فضّل التذاكي على كلّ ما عداه... وصولا إلى الانهيار السوري الذي لا تفيده كلّ مليارات السوريين الموجودة في لبنان في شيء.

ما زرعه بشّار الأسد في لبنان كان الاستثمار في "حزب الله" الذي ليس سوى لواء في "الحرس الثوري" الإيراني. كان طبيعيا أن يؤدي هذا الاستثمار إلى انهيار سوريا وانهيار النظام المصرفي اللبناني تمهيدا لانهيار كامل للبنان في ظلّ "عهد حزب الله" الذي بدأ في تشرين الأوّل – أكتوبر 2016. لا يمكن تجاهل أن الانهيار السريع لليرة السورية بدأ مع الأزمة المصرفية في لبنان أواخر العام 2019. هل من يريد تذكّر ذلك بكلّ ما يعنيه من ارتباط للنظام السوري بالمصارف اللبنانية والنظام المصرفي اللبناني؟

لم يتعاط بشّار الأسد سوى مع أسوأ نوع من السياسيين اللبنانيين. لم يصادق أي سياسي يمتلك حدّا أدنى من القيم. ربّما كان سليمان فرنجية استثناء... أما معظم الباقين، فكانوا أسماء ارتبطت بالفساد والتبعية لـ"حزب الله". من هذا المنطلق، لم يعد من مجال سوى مجال الترحّم على سوريا وليس فقط على أموال السوريين واللبنانيين في مصارف لبنان...

لبنان يدفع ثمن سنوات مريرة من الوصاية السورية والإيرانية

نقاط على حروف الانتخابات الأميركية الأخيرة

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

لا يهم ما يحدث بين الرئيس الجمهوري دونالد ترامب الذي لم يهبَّ لنجدته سوى أنصاره الأميركيين المولودين جمهوريين فقط لا غير، وبين الديمقراطي جو بايدن الذي احتشد وراءه كل من له ثأر ويريد أخذه من ترامب، من أميركيين ديمقراطيين متضررين من وجوده، سياسيا وماليا وشعبيا، ومن روس وصينيين ومكسيكيين وكنديين وفنزويليين وألمان وفرنسيين وكوريين شماليين وإيرانيين وعرب وأثيوبيين، وبأموال طائلة، وأسلحة وفنون تشويش وتشويه سمعة مبتكرة متنوعة فتاكة، وخبراء في اختراق المواقع الإلكترونية، ومئات الآلاف من الكتاب والمحللين والمراسلين الصحافيين، مع حشد هائل من إذاعات وصحف وفضائيات أميركية وعالمية في حرب مثيرة وفريدة من نوعها تابعها العالم أجمع على شاشات التلفزيون بشغف وقلق وترقب.

بعبارة أخرى أن ثلاثة أرباع سكان الكرة الأرضية كانت هنا في أميركا مستنفَرة مع بايدن لقهر شخص واحد اسمه ترامب، بأي ثمن، وبأي سلاح.

ومن أهم ما يمكن استخلاصه من هذه الحرب الطاحنة أمورٌ تهم أميركا وحدها، وأمور ثانية أخرى تهم البشرية، وثالثة تخصنا نحن العرب أولا، والعراقيين بشكل خاص.

أولا، لقد أثبت الشعب الأميركي أنه مُعبأ، سلفا، وثابت الولاء لحزبه المفضل، مهما قيل عنه ومهما يقال.

فبرغم كل أخطاء ترامب ومزاجيته في إدارة الدولة واستفزازه العالم وإثارة نقمته عليه فقد وجد الملايين من الناخبين الذين أحبوه بجنون، ووقفوا معه وقت الشدة.

على الجانب الآخر كان ناخبون بالملايين يبغضونه ويقاتلون من أجل الخلاص منه، دون أن يشفع له أنه أنجز أغلب وعوده التي انتخبوه على أساسها في 2016. فقد استمطر الدنيا دولاراتٍ بالمليارات على الخزينة الأميركية، وأنعش الاقتصاد، بعد ركود سنين طويلة، وحقق أرقاما قياسية في خفض التضخم ومستوى البطالة.

ولم يسعفه اكتشافه لأصل الإرهاب الدولي، وقرارُه الحازم باجتثاثه من جذوره، بالعقوبات والحصار المالي والعسكري والاقتصادي، كما فعل مع إيران وداعش وبن لادن وقاسم سليماني.

ثم إنه فعل لليهود ولإسرائيل ما لم يفعله رئيس أميركي من قبله. فقد نقل سفارة أميركا إلى القدس واعترف بها عاصمة أبدية لإسرائيل، ومارس، بكل ما في قدرة أميركا السياسية والعسكرية والاقتصادية، أقصى ما يمكن من الضغوط على العرب لقبول الكيان الإسرائيلي، بكل عنجهيته وظلمه وتعدياته، أخا وشقيقا في المنطقة، مُغضبا بذلك نصف الدنيا، ومُبقياً على نار الغضب العربي تحت رمادها في انتظار الفرصة السانحة للمزيد من الحروب والخراب والدمار وسفك الدماء، أملا منه في أن يكافئه يهود أميركا على كل تلك الهبات والخدمات فيمنحوه أصواتهم، ولكن إحصاءاتٍ رسمية تؤكد أن ما نسبته 85 في المئة من اليهود الأميركيين صوتوا لمنافسه الديمقراطي.

ولعل أكبر أخطاء الرئيس ترامب المتراكمة هو تفضيله المصلحة المالية، على القيم الأخرى في تعامله مع دول العالم الخارجي، وليس على أساس الموازنة بين الأخذ والعطاء.

فقد رأى في العولمة، مثلا، إضرارا بالمصالح الوطنية الأميركية، واعتمد سياسة الهيمنة التي يرى أنه بها يقدم نفسه للأمة الأميركية بطلا تاريخيا يعيد لأميركا أمجادها وهيبتها وسطوتها على العالم من جديد، ويوفر الحماية للمصانع والشركات الأميركية، ولم يتساهل مع عدو ولا صديق.

ثم انسحب من الكثير من الاتفاقات الدولية السابقة، رافعا شعار "أميركا أولا"، كانسحابه من الشراكة عبر المحيط الهادي، واتفاقية باريس للمناخ، واليونسكو، والاتفاق النووي الإيراني، ومجلس الأمم المتحدة لحقوق الإنسان.

وآخرها انسحابه، رسميا، من منظمة الصحة العالمية على خلفية إدارتها لأزمة فايروس كورونا.

وتشدّد مع جارته كندا، وفرض صيغة جديدة في التعامل التجاري معها خلافا لما كان عليه الحال عشراتٍ من السنين.

وفي مسألة المهاجرين الأميركيين اللاتينيين غير الشرعيين أصر على بناء الجدار العملاق بين أميركا والمكسيك، وتحميل حكومتها جزءًا كبيرا من نفقاته، ثم منع دخول الوافدين من دول إسلامية صنّفها ضمن الدول الراعية للإرهاب، أو التي تعاني من العجز عن محاربة الإرهاب.

وحتى في داخل إدارته كان يطرد كبار معاونيه بطريقة مزاجية فضة ومهينة، فيحولهم من موالين إلى خصوم يكتبون ويصرحون ضده بما أضر بسمعته القيادية إلى حد كبير، وكشف نزقَه وغروره.

إذا كان الحزب الجمهوري، بعظمة نفوذه، وقدراته الهائلة، وفي مجتمع أميركي خالٍ من الميليشيات، لم يستطعْ أن يمنع التلاعب والتزوير، فكيف يتعهد الكاظمي بضمان انتخابات نزيهة وعادلة ودون تلاعب وتزوير

ثم لم يتورع عن إهانة رؤساء ووزراء أميركيين سابقين، ونشر فضائحهم. ومنها ما كرر إعلانَه على شاشات التلفزيون عن ضلوع سلفه باراك أوباما ونائبه جو بايدن ووزيرة خارجيته هيلاري كلينتون في اختراع داعش ورعايته، واحتضان الإخوان المسلمين، ثم سمح بنشر الإيميلات السرية لكلينتون وهانتر بايدن بكل ما فيها من فضائح وأسرار.

وفي النهاية غطت هذه الشطحات السياسية المثيرة للجدل على كل منجزاته الجيدة الكثيرة، وقرّبته من خسارة الرئاسة، إلا إذا حدثت معجزة.

ولكن في ظل إدارة القادم الجديد إلى البيت الأبيض، الديمقراطي جو بايدن، ستدخل أميركا، ومعها العالم كله، وشرقُنا الأوسط، في فوضى واختلال موازين جديدة لسنوات قادمة ستجعل كثيرين يترحمون على ترامب وأيامه الخوالي.

يقول بايدن إن سياسة ترامب ألحقت ضررا "بسمعة أميركا ومكاننا في العالم، وأنا واثق بكل صراحة في قدرتنا على قيادة العالم".

وانتقده على تخليه عن الدور القيادي للولايات المتحدة على الساحة الدولية، وشدد على ضرورة العمل الجماعي لمحاربة تغير المناخ، وانتشار الأسلحة النووية، والإرهاب، والهجمات السيبرانية.

وعن السياسة التي سيتبعها، قال بايدن إنه سيسحب معظم القوات الأميركية من مناطق لا يرى فائدة لأميركا من بقائها فيها، وسينهي الدعم الأميركي للعملية العسكرية السعودية في اليمن، وسيجدد التمسك بالتزامات أميركا إزاء حلفائها في الناتو.

وسيلغي حظر السفر الذي فرضه ترامب على مواطني عدد من الدول ذات الأغلبية المسلمة، وسينهي فصل أطفال المهاجرين عن أسرهم على الحدود مع المكسيك.

وانتقد انسحابه من الاتفاق النووي مع إيران، مؤكدا أنه سيعود إلى الالتزام بالاتفاق، في حال التزمت طهران بتعهداتها.

ويعتزم بايدن العودة إلى اتفاقية باريس حول المناخ، والضغط على كوريا الشمالية حتى تأخذ على عاتقها تعهدات أكثر صرامة بشأن التخلي عن برنامجها النووي.

وفي انتظار ما ستسفر عنه المعارك القضائية بين الحزبين، وما ستقرره المحاكم العليا، لا بد من القول هنا بأن في مزاعم الجمهوريين حول حدوث تلاعب وتزوير في بطاقات الاقتراع بالبريد نصيبا كبيرا من الصواب. أولا لأن ذلك حدث فقط في الولايات التي يهيمن عليها الديمقراطيون، وثانيا لأن امرأة غير جمهورية ذهبت لتقترع فوجدت أن أحدا غيرها استخدم اسمها وبياناتها الشخصية واقترع بالنيابة عنها، ثم اعترف موظف من العاملين في فرز الأصوات بأنه فوجئ بأن إحدى بطاقات الاقتراع كانت تحمل اسم أخيه المتوفى منذ عامين، وبياناته الشخصية الصحيحة. ثم قبضت شرطة نيويورك على موظف بريد وبحوزته 800 بطاقة اقتراع لم يقم بإرسالها.

وفي الخلاصة نوجه إلى العراقيين، وخاصة الذين صدقوا رئيس وزرائهم مصطفى الكاظمي وفضّوا الانتفاضة، هذا السؤال: إذا كان الحزب الجمهوري الأميركي الحاكم، بجلالة قدره، وبعظمة نفوذه، وقدراته الهائلة، وفي مجتمع أميركي خالٍ من الميليشيات والسلاح المنفلت، لم يستطع أن يمنع التلاعب والتزوير، فكيف إذن يتعهد الكاظمي بضمان انتخابات نزيهة وعادلة ودون تلاعب وتزوير؟

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk